Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(2) ; January 2019

دلالات الجذر(ب، س،ط) بين القرآن الكريم والاستعمال اللغوي

The dentations of the root (t,s,t) between the glorious Qur'an and linguistic use

أ.د ناصر عبد الاله كاظم دوش أ.م.د ميثاق عباس زغير الخفاجي
Prof. Dr. Nasir A. Khadim Asst. Prof. Dr. Methaq A. Zaqer

قسم اللغة العربية/كلية التربية/جامعة الكوفة
Arabic language department/faculty of education of Girls/Kufa University

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله وصحبه المنتجبين .وبعد.....

يتتبع البحث دلالات لفظة(بَسَطَ) بين القرآن الكريم والإستعمال اللغوي ،لأن منهج الدراسة يقوم على تتبع المجالات السياقية التي يوظف فيها ذلك اللفظ. وقد جاء البحث بتمهيد ومطلبين:

تناول التمهيد معنى لفظة (بسط)في اللغة والإصطلاح ، ثم درس البحث حروف هذه اللفظة صوتياً من حيث :الصفة والمخرج. واعتنى المطلب الأول بالدلالات الحقيقية للفظة(بسط) في القرآن الكريم ، ونهج البلاغة، واشعار العرب.

وجاء المطلب الثاني متتبعا تطور هذه اللفظة وخروج معناها الحقيقي إلى معانٍ مجازية أخرى ،مبيناً تطور اللفظة في القرآن الكريم لما له من أثر في تجلي دلالتها عمّا كانت عليه، ومبينا تطور اللفظة في نهج البلاغة فضلاً عن أشعار العرب في العصر الجاهلي ،والإسلامي والاموي، والعباسي ، ثم جاءت الخاتمة لتكون ملخصاً مع أهم النتائج التي توصل إليها البحث. ويعدُّ هذا البحث من البحوث التي حاولت رصد دلالة المفردة في الإستعمال اللغوي وتطورها الدلالي في القرآن الكريم ونهج البلاغة والشعر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

Abstract

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the honorable messengers AbiQasim Muhammad and his family and companions.

After.....

The study traces the meanings of the word (simplified) between the Holy Quran and the use of language, because the study methodology is based on tracking the contextual areas in which the word is employed.

The research came as a prelude to two demands:The preface dealt with the meaning of the term (simplified) in the language and terminology, and then studied the search of the characters in this word in terms of: the character and the director.

The first requirement was concerned with the real connotations of the word (simplified) in the Holy Quran, the approach of rhetoric, and the notice of the Arabs.

The second demand follows the development of this word and its true meaning to another metaphor, indicating the evolution of the word in the Holy Quran because it has an effect in manifesting its significance from what it was, and showing the evolution of the word in the approach of rhetoric as well as the poetry of Arabs in the pre-Islamic.

Then came the conclusion to be a summary with the main findings of the research.

This research is one of the researches that attempted to monitor the singularity of the linguistic use and its semantic development in the Holy Quran and the approach of rhetoric and poetry.

And Praise be to Allah, the Lord of the Worlds

المقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أبي القاسم محمدٍ وعلى آله وصحبه المنتجبين وبعد.....

فإن القرآن هو البحر المحيط ومنه يتشعب علم الأولين والآخرين كما يتشعب عن سواحل البحر المحيط أنهارها وجداولها أو ما تغبط أقواماً خاضوا في غمرة أمواجها ، فظفروا بالكبريت الأحمر ، وغاصوا في أعماقها فاستخرجوا الياقوت الأحمر ،والدر الأزهر، والزبرجد الأخضر، وساحوا في سواحلها فالتقطوا

العنبر الأشهب ،والعود الرطب الأنضر ولو ذاب أهل السموات وأهل الأرض حين يسمعون كلام الله عزَّ وجل أو ماتوا خموداً أجمعون لكان ذلك حقٌ لهم ،ولما كان ذلك كثيراً إذ تكلم الله عزّ وجل به تكليماً من نفسه من فوق عرشه من سبع سمواته فإذا عظم في صدرك تعظيم المتكلم به لم يكن عندك شيء أرفع ولا أشرف ولأ أنفع ولا ألذ ولا أحلى من استماع كلام الله جلّ وعلا. من هنا أنطلق الباحثان ليغوصا في هذا البحر المحيط المتلاطمة أمواجُهُ فاستخرجا دُرةً سنية ألا وهي لفظة (بسط) فأرادا معرفة هذه الدرّة وماذا تعني دلالتها في المعنى الحقيقي وما تخرج عنه في المعنى .

ومن هنا دعت طبيعة البحث أن يكون من تمهيد ومطلبين ، واعتنى المطلب الأول بالدلالات الحقيقية للفظة(بسط) في القرآن الكريم ، ونهج البلاغة، واشعار العرب.

وجاء المطلب الثاني متتبعا تطور هذه اللفظة بما حملت من دلالات جديدة وخروج معناها الحقيقي الى معانٍ مجازية أخرى ،متتبعا تطور اللفظة في القرآن الكريم لما له من أثر في تجلي دلالتها عمّا كانت عليه، وفي نهج البلاغة فضلا عن أشعار العرب في العصر الجاهلي والإسلامي والاموي والعباسي ،فكانت نتائج مهمة ودلالات مختلفة ومعانٍ متنوعة حددها السياق، وكشفتها كتب التفاسير والمصادر الأدبية والدراسات التي دارت حولها .

ثم جاءت الخاتمة لتكون ملخصاً مع أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وليس هناك جهد بشري يخلو من نقص ٍ أو قصورٍ، والفاضلُ من تعدّ هفواتهُ، وتحصى أخطاؤه

وإن تجد عيباً فسدّ الخل لاجلَّ من لا عيبَ فيه وعلا وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين.

التمهيد

يعدّ المفهوم اللغوي للألفاظ أساساً في تحديد وتوضيح المعنى الاصطلاحي ؛لأنه قد يساعد إلى حدٍّ بعيد في الكشف عن معالم الالفاظ، ولذا كان من اللآزم بيان المعنى اللغوي وعطف المعنى الاصطلاحي عليه .

أولاً: تعريفه لغةً:

اتفقت كتب اللغة التي تعنى بشرح معاني المفردات على إيراد الفعل تحت الجذر اللغوي (بَسَطَ)، وأوردت منه تصريفات عدّة، اسميّة وفعلية، مجردة ومزيدة، وقد اختلف في معناه ، وسيورد البحث طائفةً ممّا جاء عن اللغويين في ذلك ، مستهلاً بصاحب أول معجم في العربيّة وهو معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) الذي يرى أنّمعناه المد في قوله :"البَسطُ نقيض القَبض. والبسيطةُ من الأرض كالبساط من المتاع ، وجمعه بُسُط..وبسط إلينا فلان يده بما نُحبُّ ونكره"١.

وفي هذا المعنى "بَسطْتُ الشيء أبسُطه بسطاً، إذا مددته على الأرض وتبسّط الرجل على الأرض، إذا استلقى وامتدّ" ٢.

وبهذا المعنى قال ابن فارس(ت٣٩٥هـ) "الباء والسين والطاء أصلٌ واحدٌ، وهو امتدادُ الشّيء في عِرَض"٣.

وجاء بمعنى النشر في قول ابن منظور: "وبَسَطَ الشيء نشره ، وبَسطُ العُذرِ قبولهولهذا قيل تَبَسّط في البلاد ."٤

وتأتي(بسط)بمعنى الإطلاق فيقال:"ويدٌ بِسطٌ أي مطلقة"٥. والبَسطَة بمعنى السّعةُ وفيها لغة بالصاد . وامرأة بَسطَةٌ حسنةُ الجسم سهلتُه.والباسط من اسماء الله الحسنى.٦

و(البِسْط والبُسْط): الناقة المتروكة مع ولدها لا تمنع، والجمع :أبساطٌ وبُساطٌ٧

ومن المجاز:يد فلان بُسُط إذا كان منفاقاً فهي كناية عن الجود ،وقد يستعمل للبذل والاعطاء نحو قوله تعالى: ((بل يداه مبسوطتان))المائدة/٥ .

وبسط رجله وقبضها ،وإنه ليبسطني ما بسطك ويقبضني ما قبضك ، وزاده الله بسطة في العلم والجسم أي فضلاً ، وبسط فلان على فلان سلّطه ،ورجلٌ بسيط الوجه مُتهلِّل٨.

١ – كتاب العين: ٢١٧/٧–٢١٨ مادة بسط.

٢ – جمهرة اللغة:٢٨٤/١ مادة بسط

٣ – معجم مقاييس اللغة :١١٦ مادة بسط.

٤ – لسان العرب ٢٩٢/١ مادة بسط.

٥ –م.ن ٢٩٣/١ مادة بسط.

٦ – ظ: م.ن :٢٩٣/١ المادة نفسها

٧ – ظ:المخصص :٤٤٠/٨

٨ – ظ: أساس البلاغة :٢٢، وتاج العروس :١٥٨/١.

ثانياً: تعريفه اصطلاحا: جاء (بَسَطَ) مقابلا لمعنى القبض ؛لانهما من الأضداد ٩فيقال فيه:" القبض والبسط هما حالتان بعد ترقي العبد عن حالة الخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقل مكروه أو محبوب ،والقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت يغلب على قلب العارف عن وارد غيبي".١٠

والفعل (بَسَطَ-يَبسُطُ)من الباب الأول (فعَل-يفعُل) ويغلب على أفعال هذا الباب أن تكون معاني وقوع حدوث تقوم وتتعلق بفاعلها ، مثل: مات –يموت بمعنى فنى١١

فنرى أن لفظة (بسط) دلت على الإمتداد والنشر وهذه المعاني التي منها تطورت المعاني الأخرى ، وهي من الثنائيات المتضادة للفظة القبض .

ثالثاً: الصفة والمخرج للفظة (بسط)

وبعد معرفة معناه اللغوي كان حريا بنا معرفة المخرج والصفة لما لهما من أثرٍ على دلالة اللفظة مفردة وداخل السياق، ولنبدأ مع االمخرج والصفة لحروف لفظة (بسط)

الباء:وهي من الحروف الشفوية يقول سيبويه:" ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو"١٢، ومخرج الباء لم يختلف عند المحدثين فنطقها بضم الشفتين١٣.

أما صفته فهو صوت مجهور شديد والشديد "هو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه"١٤وصفته عند المحدثين هي "صوت شديد مجهور ، يتكون بأن يمرَّ الهواء أولاً بالحنجرة ، فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه بالحلق ثم الفم ، حتى ينحبس عند الشفتين منطبقتين انطباقاً كاملاً، فاذا انفرجت الشفتان سمعنا ذلك الصوت الإنفجاري الذي يسمى الباء، فللنطق بالباء تنطبق الشفتان أولاً حين انحباس الهواء عندهما ، ثم تنفرجان فيسمع صوت الباء"١٥.

-والسين :فمخرجها من طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى١٦.أما المحدثون فقد جعلوا مخرجها من أول اللسان حين يلتقي بأصول الثنايا العليا١٧.

٩ – ظ: معجم الاضداد :٥٩-٦٠.
١٠ – التعريفات:٧٧.
١١ – ظ:أوزان الفعل ومعانيها:٤١-٤٥.
١٢ –الكتاب :٤/٤٣٣، و ظ:سر صناعة الاعراب : ١/٦١.
١٣ – ظ:الاصوات اللغوية:٤٧، و علم الاصوات :٣٧٨.
١٤ – الكتاب :٤/٤٣٤، و ظ:سر صناعة الاعراب : ١/٦١.
١٥ – الاصوات اللغوية:٣٧٨.
١٦ – ظ:الكتاب:٤/٤٣٤.
١٧ – ظ:شرح المقدمة الجزولية :٢٦٥.

وصفتها تكون من الأصوات التي وصفت بالصفير١٨، والصفيرية تحدث عن طريق إحداث تضييق إخدودي بين

نصل اللسان والجزء الخفي من حافة اللثة١٩. وهي صوت رخو مهموس٢٠ والأصوات المهموسة هي " الصوامت التي لا يهتز في أثناء النطق بها الوتران الصوتيان ، نتيجة انبساط فتحة المزمار ،واتساع مجرى الهواء ، وابتعاد الوترين الصوتيين بحيث لا يؤثر الهواء فيهما بالاهتزاز"٢١.

-**والطاء**: فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا٢٢مصعداً إلى جهة الحنك٢٣، وهي من الحروف المستعلية ، لأنها استعلت إلى الحنك الأعلى، والمستعلية هي الحروف التي تمنع الإمالة٢٤.

وصفتها عند القدماء صوت مجهور٢٥، وقد عدّه المحدثون صوتاً خالياً من صفة الجهر ، فهي عندهم مهموسة٢٦. والخلاف عندهم موضعه الإختلاف في نطقه القديم عن نطقه الآن٢٧.

دلالات لفظة (بسط)

وبعد هذا العرض الموجز عن مخرج أصوات لفظة (بسط) ،وعن صفة هذه الحروف المكونة لها ، وعن معناها اللغوي والاصطلاحي ،جاء الحديث ليكون خاصاًبتتبع بعض المعاني السياقية في ضوء استعمالها في السياقات اللغوية وما للمجاز والاستعارة والكناية من أثر في ذلك التغير ، وقد بدأنابدلالة هذه اللفظة في القرآن الكريم أولاً ،لأنه أثرَّ بشكل مباشر على تطور دلالات الألفاظ وتغير مجال استعمالها فخرجت اللفظة من معناها الحقيقي في بعض السياقات إلى معانٍ مجازية عن طريق الكناية والاستعارة والمجاز.

ففي القرآن ورد هذاالجذر في (خمس وعشرين) موضعاً من القرآن٢٨ وفي نهج البلاغة في (تسعة عشر)موضعاً،وقد حمل دلالات عدّة توزعت بين دلالات حقيقية، أو ما يعرف لدى الدلاليين بالدّلالة

١٨ – ظ:الكتاب:٤/٤٣٤.
١٩ – ظ:علم أصوات العربية:١٤٨.
٢٠ – ظ:الكتاب :٤/٤٣٤.
٢١ – علم الاصوات العربية:١٥٠.
٢٢ – ظ: الكتاب :٤/٤٣٤.
٢٣ – ظ:الاتقان:١/٢٦٨-٢٦٩.
٢٤ – ظ:المقتضب:١/٢٢٥.
٢٥ – ظ: الكتاب:٤/٤٣٤.
٢٦ – ظ:الاصوات اللغوية:٦٢، و دروس في علم أصوات العربية:٣٥.
٢٧ –ظ:الاصوات اللغوية:٦٢.
٢٨ – ظ:المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم: ١٧٣.

الحسيّة أو المركزيّة، أو الأساسيّة ،أو المعجميّة . أو دلالات تحمل المعنى الإضافي أو العرضي أو الثانوي أو التضميني وهو المعنى الذي يملكه اللفظ عن طريق ما يشير إليه إلى جانب معناه التصوري الخالص ، وهو ما يطلق عليه المعنى المجازي للفظة[٢٩].

ومجيء الفعل (بسط) في القرآن جاء متعدياً في(أربعة عشر) موضعاً [٣٠]، وفي عشرة مواضع من نهج البلاغة[٣١]وتنوع حرف الجر المصاحب لهذا الفعل فورد (بسط+ل) في عشرة مواضع من القرآن الكريم ، وفي وفي سبعة مواضع من نهج البلاغة ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ الله يبسطُ الرزقَ لمن يَشاءُ ويقدرُ﴾الرعد/٢٦، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ويكأن اللهَ يبسطُ الرزقَ لمن يشاء﴾ القصص/٨٢ ومتعديا بحرف اللام في سورة الإسراء/٣٠،واللام للاختصاص ، وتفيدقصرالفعل على مجرورها وهنا قصر الله تعالى الرزق على مَنْ يختاره من عبادِه.

وفي قول الامام علي في احدى خطبه في صفة خلق آدم:"ثم بسط الله سبحانه له في توبته ولقاه رحمته"[٣٢] وقد ورد الفعل (بسط)أيضاً في تركيب (بسط+إلى)وذلك في ثلاثة مواضع ، قال تعالى: ﴿ لئن بسطت إليّ يدكَ لتقتلني ما أنا بباسطٍيدي إليك لأقتلك﴾المائدة/٢٨.ومثلها من حيث التعدية بالحرف إلى من سورة المائدة/١١،والاسراء/٢٩. والحرف (إلى) ، لإنتهاء الغاية ، وانتهاء الغاية في كل شيء.

وجاءمثل هذا التركيب في قول الإمام علي في احد كتبه من عهد له كتبه للاشتر النخعي يقول فيه:"فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة...."[٣٣]

وقد ورد الفعل (بَسَطَ) في تركيب (بسط+في) وذلك في موضعٍ واحد في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿الله الذي يُرسلُ الرّياح فتثيرُ سحاباً فيبسطُه في السماء كيف يشاء ﴾ الروم/٤٨.والحرف (في) يفيد الظرفية مكانية أو زمانية.وفي هذه الآية تحققت الظرفية الزمانية والمكانية .

نجد أن دلالة الفعل قد تغيرت مع حرف الجر المصاحب له .

٢٩ – ظ:علم الدلالة: ٣٧.

٣٠ –المعجم المفهرس لالفاظ القرآن: ١٧٣.

٣١ –المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٥٢٤.

٣٢ –نهج البلاغة:٤٤.

٣٣ –م.ن:٤٥٨ كتاب رقم ٥٣.

المطلب الأول:الدلالة الحقيقية

ولما كان للدلالة القرآنية الأثر الأقوى في رسم دلالة اللفظة سنتحدث عنها في بداية كل دلالة ثم نأخذ دلالة اللفظ(بسط) في السياقات اللغوية الأخرى من شعرٍ ونثر. فالسياقات القرآنية دلت على دلالات حملتها لفظة(بسط)نجدها في قوله تعالى:﴿ إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه﴾ الرعد/١٤

للجذر (بسط) أصلٌ واحدٌ وهو امتداد الشيء في عرضه فالبساط ما يبسط ، والبساط الأرض وهي البسيطة. وهنا في هذه الآية من سورة الرعد وهي سورة مكية ، جاءت لاثبات توحيد الله للرد على شبهات المشركين ، وفي هذه الآية الكريمة ضرب الله عزّ وجل الماء مثلاً لإياسهم من إجابة دعائهم لانّ العرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً بالقابض الماء باليد ، وهنا تشبيه حال المشركين في دعائهم الأصنام وعدم استجابة الأصنام لهم بشيء بحال الظمآن ببسط كفيه يبتغي أن يرتفع الماء في كفيه المبسوطتين إلى فمه ليرويه وما هو ببالغ إلى فمه ؛لأن الماء يحصل بالقبض لا بالبسط٣٤بذلك الطلب ذهب سعيه وتبعه باطلا مع ما فيه ، والجامع بينهما هي الحاجة إلى المنفعة والحسرة التي يحسّ بها الكافرون نتيجة عدم تحصيلها لعدم الاستجابة لدعائهم فوجه الشبه خيبة سعيهم وعدم بلوغهم ما يريدون . والتي تشبه خيبة أمل من يبسط يديه إلى الماء يحاول أن يبلغ فاه ليطفيء ظمأه، ولكنه لا يحصل إلا على التعب الذي لا طائل منه . ومثل هذا المعنى قال أبو الهذيل:

فأصبحتُ مما كان بيني وبينها من الود مثل القابض الماء باليدِ

وفي معنى هذا المثل ثلاثة أوجه:" أحدهما: إنّ الذي يدعو إلهاً من دون الله كالظمآن الذي يدعو الماء ليبلغ إلى فيه من بعيد ، يريد تناوله ولا يقدر عليه بلسانه ويشير إليه بيده، فلا يأتيه أبداً، لأنّ الماءَ لا يستجيب له وما الماء ببالغ إليه. والثاني : إنه كالظمآن الذي رأى خياله في الماء ، وقد بسط كفيّه ليبلغ فاه، وما هو ببالغه لكذب ظنه وفساد توهمه.والثالث: إنه كباسط كفه إلى الماء ليقبض عليه فلا يحصل في كفيه شيءٌ منه" ٣٥.

وأضاف ابن عطية قولين اضافيين٣٦لتفسير قوله تعالى السابق. والكاف في موضع نصب ، واستجابة مضافة في التقدير إلى باسط وهي إضافة المصدر الى المفعول ، وفاعل المصدر محذوف تقديره:كأجابة الماء من بسط كفيه) ، فلما حذف أظهر في قوله إلى الماء، ولو كان ملفوظاً به لعاد الضمير إليه .فكان يكون التركيب كفيه إليه٣٧. وجعل بعضهم وجه الشبه قلة الجدوى، ولعله أراد عدمها

٣٤ – ظ: نظم الدرر ١٣١/٤ وما بعدها.

٣٥ – الحاوي في تفسير القرآن الكريم ٤٠٩/٣٣،وظ: النكت والعيون :١٠٣/٣.

٣٦ – ظ:زاد المسير:٤/ .

٣٧ – ظ:نظم الدرر:١٣١/٤-١٣٥.

لكنه بالغ بذكر القلة وأراد العدم دلالة على هضم الحق وإيثار الصدق ، ولإشمال طرف من التهكم ، وعلى هذا فالتشبيه هو من تشبيه المفرد المقيد كقولك لمن لا يحصل من سعيه على شيءٍ كـ(الراقم على الماء) فإن المشبه هو الساعي مقيدا بكون سعيه كذلك والمشبه به هو الراقم مقيداً بكونه على الماء كذلك فيما نحن فيه وليس من المركب العقليفي شيء.

والكاف في (باسط): في موضع نصب إما نعتٌ لمصدر محذوف، وإما حالٌ من ذلك المصدر . وقال أبو البقاء:"والكاف في كباسط إن جعلتها حرفاً كان فيها ضميرٌ يعود على الموصوف المحذوف ، وإن جعلتها اسماً لم يكن فيها ضميرٌ" ٣٨. وعقب على كلامه السمين الحلبي بقوله:"وكون الكاف اسما في الكلام لم يقل به الجمهور بل الأخفش٣٩.

ومثل هذا المعنى الحقيقي للفظة(بسط)التي دلت على المد نجده في نهج البلاغة في قول الإمام علي(عليه السلام)في قوله في أحد كتبه من عهد له كتبه للاشتر النخعي : "وتحفظ من الأعوان فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة، فبسطت عليه التوبة في بدنه"٤٠

وقال في موضع آخرله(عليه السلام) عند حديثه عن :"وبسطتم يدي فكففتها ومددتموها فقبضتها"٤١.

ومن السياقات القرآنية الأخرى التي حملت دلالة (المد) قوله تعالى: ﴿وكلبهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد﴾الكهف/١٨.

جاءت لفظة (باسط)في سورة الكهف بالمعنى الحقيقي وهو المد ، وهنا لم يقصد الإخبار عن فعل الكلب ولهذا اعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضي ؛ لأنها حكاية حال ماضية ،قال الزمخشري: " باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضي ، وإضافته إذا اضيف حقيقة معرفة ، كغلام زيد إلا إذا نوي حكاية الحال الماضية"٤٢. وقد عقب عليه أبو حيان قائلاً " لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضي ليس إجماعاً، بل ذهب الكسائي ، وهشام، ومن اصحابنا أبو جعفر بن مضاء إلى أنه يجوز أن يعمل"٤٣.

وقال الآلوسي " (باسط ذراعيه) مادهما....ونصب ذراعيه على أنه مفعول باسط ، وعمل مع أنه بمعنى الماضي ، واسم الفاعل لا يعمل إذا كان كذلك، لأن المراد حكاية الحال الماضية"٤٤.

٣٨- تفسير ابي البقاء:٨٤١/٢

٣٩- ظ: الدر المصون:٣٦/٧.

٤٠ - نهج البلاغة: ٤٥٨ رقم الكتاب ٥٣.

٤١-م.ن :رقم الخطبة ٢٢٩

٤٢ - الكشاف: ٧٠٩/٢.

٤٣ -تفسير البحر المحيط:١٠٥/٦-١٠٦.

٤٤ - روح المعاني:٢٢٦/١٥.

وبيَّن الشنقيطي سبب عمل اسم الفاعل في الآية السابقة بان الآية حكاية حال ماضية ولهذه الآية نظائر من القرآن٤٥. منها قوله تعالى: ﴿ واللهُ مخرجٌ مَّا كنتُم تكتُمُون﴾ سورة البقرة:٧٢

إذاً دلالة لفظة باسط في هذه الآية الشريفة تعني المد والذي يقويها وجود الالف فيها التي تعطي للكلمة ايحاء بالمد الطويل ، فضلاً عمّا استشهد به ابن عطية لمعنى المد الحقيقي بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم):"ولا يبسط أحدكم ذراعيه في السجود انبساط الكلب"٤٦.

وقد جاء هذا المعنى (المدّ) في الاستعمال اللغوي كثيرا فنجد مثله أيضاً في قول الإمام علي(عليه السلام) في أحد خطبه التي ذكر فيها بعض صفات الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهدد بني أمية وأوعظ الناس :"فالأرض لكم شاغرة ، وأيديكم فيها مبسوطة"٤٧

واستعمله الشعراء الجاهليون في أشعارهم فنجد ما قاله الشاعرلبيد بن أبي ربيعة:

لقد كان ممّن يَبسُطُ الكفَّ بالندى إذا ضنَّ بالخير الأكفُّ الشحائحُ

هل هو إلا باسطٌ كَفَّهُ يستطعمُ الواردَ والصادر٤٨

وهنا الشاعر في موضع مدح وقد قصر الكرم بالممدوح فهو يطعم الوارد والصادر ،والرائح والغادي ،فالدلالة هنا دلالة حقيقية عن الكرم وكثرة العطاء.

وقال شاعرٌ آخر:

يُكفكفُ غيلةً إحدى يديه ويبسطُ للثوبِ علىّ أُخرى٤٩

والدلالة واضحة في بيت الشاعر معدي كرب فالبسط بمعنى (الإمتداد والسعة)،فإن كانت إحدى يديه مغلولة فالأخرى تتسع وتنبسط للجميع.

وقول خلف الاحمر:

باسطٌ كفيه فيهم بعدلٍ وصبير صوبهُ مستَهَلٌّ٥٠

فالشاعر هنا يمدح الأمير بوصف ثابت باسط كفيه بالعدل ،فعطاياه سواء لكل الناس.

٤٥ – ظ:أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٥٧/٤.

٤٦ – ظ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:١١٨٢.

٤٧ –نهج البلاغة:١٨٠ رقم الخطبة(١٠٥)

٤٨ –ديوان لبيد:٢٣٢.

٤٩– مقامات بديع الزمان الهمذاني:١٥.

٥٠–ديوان الشعر (قصائد واشعار خلف الأحمر):٩٠.

المطلب الثاني:تغير مجال الدلالة للفظة (بسط)

شمل تغير دلالة لفظة (بسط) بتغير وقوعها واستعمالها في السياقات اللغوية والقرآنية مع ما يربطها من قرآئن أُخر ، فيرى الدامغاني(ت٤٧٨هـ) أن لفظة (البسط) على ستة أوجه: (الضرب، الفتح ، المهد، القوة، مد اليد)٥١.ومثل هذه المعاني جاءت في الاستعمالات اللغوية الأخرى ، عن طريق الاستعارة ، والكناية، والمجاز.

الدلالة الأولى: بمعنى الضرب : وهذه الدلالة جاءت في القرآن وفي الشعر والنثر ففي القرآن في قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخْرِجُوا أنفسَكُم اليومَ تُجزَونَ عذابَ الهونِ بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ الانعام/٩٣،وسورةالانعام من السورالمكية التيعُنيت بقضايا أصول العقيدة٥٢. وقد جاء سياق الآية سياق عنفٍ والحاح وتشديد في عذاب الكفار عند الفزع فأتى بشرط خبره محذوف معناه لرأينا شيئا عظيما، وجاءت (باسطو) خبراً مرفوعاًبالواووحذفت نونه للاضافةفقال القرطبي :" والأصل باسطون، قيل بالعذاب ومطارق الحديد ، ...وقيل لقبض ارواحهم"٥٣، والمبتدأ الملائكة وهذه الجملة هي جملة الحال وقد ارتبطت بالواو ؛ لأنه لو لم تكن هذه الواوفي غير السياق القرآني لانحل النص وبدا مستئنفا وليس حاليا .

وأشار ابن عطية إلى دلالة لفظة (بسط) بأنها تدل على الضرب إذ يقول:" قال ابن عباس: يضربون وجوههم وأدبارهم ، وأما البسط لمجرد قبض النفس فإنه يشترك فيه الصالحون والكفرة "٥٤ ،ونرى هنا الدلالة قد تحدد معناهابالتخصيص بالكفار فلهذا جاءت بمعنى الضرب. والذي حدد هذه الدلالة السياق .

ومثل هذا الرأي ذكره الرازي٥٥، وأبو حيّان في قوله:"والملائكة باسطو أيديهم قال ابن عباس :بالضرب أي ملائكة قبض الروح يضربون وجوههم وأدبارهم عند قبضه"٥٦.

ويصور الزمخشري حال الكفار وهم يضربون وتخرج أرواحهم من قبل الملائكة إذ يقول:"يبسطون إليهم أيديهم يقولون: هاتوا أرواحكم، أخرجوها إلينا من أجسادكم، هذه عبارة عن العنف في السياق، والالحاح الشديد في الازهاق من غير تنفيس وإمهال ، وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم السلط يبسط يده إلى من عليه

٥١ – ظ:الوجوه والنظائر لالفاظ كتاب الله العزيز:١٢٧.

٥٢ – ظ: الجامع لاحكام القرآن :٦/٢٤٦.

٥٣ – م.ن :٨/٤٦١.

٥٤ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٦٤٥.

٥٥ – ظ:مفاتيح الغيب :١٣/٩٠.

٥٦ – تفسير البحر المحيط:٤/١٨٤.

الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله"٥٧.وهذا ما أكده البقاعي بقوله:"(باسطو ايديهم) أي اليهم بالمكروه ولنزع أرواحهم وسلها وافية من أشباحهم كما يسل السفود المشعب من الحديد من الصوف المشتبك المبلول لا يعسر عليهم تمييزها من الجسد، ولا يخفى عليهم شيء منها في شيء منه قائلين ترويعاً لهم وتصويرا للعنف والشدة في السياق والإلحاح والتشديد في الازهاق من غير تنفيس وإمهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم السلط الملازم"٥٨.

وسبب استعمال صيغة اسم الفاعل بصيغة الجمع(باسطو) فيه تأكيد على شدة العمل ودوامه كأن هذا شأن الملائكة دائماً أمام الكفّار.٥٩

وبمعنى (الضرب) نجده في سياق رفيع المستوى في قول سيد البلغاء الامام علي (عليه السلام) في خطبة للخالق جلّ وعلا :"لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة ولا انساط خطوةٍ"٦٠

وقول ابن المعتز:

والنسرُ قد بَسَطَ الجناحَ مُحَوِّماً حتى القيامةِ طالباً لم يَصطدِ٦١

الدلالة الثانية:بمعنى السعة وبسط الرزق : وهذه الدلالة جاءت في القرآن وفي الاستعمال اللغوي كثيراً ففي القرآن جاءت في مواضع عدّة مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده﴾الشعراء/٢٧.وقوله تعالى: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾الرعد/٢٦.ومثل هذا المعنى جاء في سورة العنكبوت/٦٢،والشورى/١٢،والزمر/٥٢،والروم/٣٧،وسبأ/٣٦،والقصص/٨٢ . هذه الآيات الكريمة دلت على اختلاف سورها أن الفعل (بسط)يدلّ على السعة وبسط الرزق وقبضه ، يقول الجزي(ت٧٤١هـ) :"(والله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدِّر"أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء وهذا تفسيره حيث وقع"٦٢ومثله ذهب الرازي٦٣. والسمعاني٦٤والثعلبي٦٥، والآلوسي٦٦.

وإذا رجعنا ودققنا النظر في سياق الآيات الكريمة لوجدنا أنّ الفعل (بسط) جاء في الآيات المذكورة اعلاه بصيغة الفعل المضارع(يبسط)،والفعل المضارع بوصفه ما دلّعلى معنى في نفسه بزمان يحتمل الحال

٥٧ – الكشاف:٤٦/٢،ظ: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:٢٢٣/٧.

٥٨ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٩١/٧.

٥٩ – ظ:المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته :٥٠٩/٥

٦٠ – نهج البلاغة:خطبة رقم ١٦٣.

٦١ – ديوانه:١٥٩.

٦٢ – التسهيل لعلوم التنزيل:٤٣٦/١.

٦٣ – ظ: مفاتيح الغيب :٢٨٩/٢٦.

٦٤ – ظ:تفسير السمعاني : ٧٦/٥.

٦٥ – ظ:تفسير الثعلبي :٣١٧/٨.

٦٦ – ظ:روح المعاني :١٤٧/١٣.

والاستقبال ، والحركية والديمومة وهذا ما يناسب مع سياق الآيات القرآنية بوصفها تتحدث عن الرزق ونحن نعرف أنَّ الرزقَ يحتاج إلى استمرارية وديمومية لذلك ناسب نوعية وزمنية الفعل سياق الآيات القرآنية . وقد جاء الفعل بصورٍ مختلفة ، فمرة وقع في محل رفع خبراً للمبتدأ كما في سورة الرعد،٢٦، والعنكبوت/٦٢.ومرة وقع مع فاعله المضمر في محل رفع خبراً لاسم إن كما في سورة الزمر/٥٢، والروم/٣٧ ولكل تركيب دلالته الخاصة به .

فضلاً عن هذا فأن المتأمل لكل الآيات الدالة على الرزق يجد أن سياقها سياق عاطفي يحمل في طياته صوراً من لطف الله بالعباد فاختار سبحانه ألفاظاً (بعباده،وربّك،وربّي)مع الفعل(قلْ) الذي يوجّه الخطاب إلى العباد ، و(يكأن) الذي يحكي التعجب والندم والاستبعاد. ويعدّ الرزق رباطاً وثيقاً بين الله وعباده يجعله الله سبيلا الى طاعته.٦٧

ومثل هذه الدلالة جاءت في قول الامام علي (عليه السلام):"يا مالك:واجعل لذوي الحاجات منك قسما....يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته"٦٨

وقول ذي الاصبع العدواني في رثاء قومه:

مَـعـــالي لم يَنَـلـهـا النـــا سُ في بســـطٍ ولا قبــضِ٦٩

فالشاعر يشير إلى تلك المعاني التي نالها فلم يصل إليها الناس في السعة ولا في الإنقباض والشدة.

وقال شاعرٌ آخر عند حديثه عن الفرس:

يبسطُ المشيَ إذا هَيّجته مثل ما يبسطُ في الحظوِ الذرع

وهنا اشارة الى السعة في المشي لذلك الفرس.

الدلالة الثالثة: بمعنى الفتح والنعمة:استعملت لفظة (بسط) بمعنى الجود والعطاء في تراكيب لغوية عدّة منها: في القرآن وهذه الدلالة جاءت عن طريق الاستعارة كما فيقوله تعالى: ﴿ بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ المائدة/٦٤

سياق الآية جاء جوابا لليهود ورداً عليهم في ما افتروه واختلقوه على الله تعالى٧٠. (اليدان) هنا بمعنى الإنعام قال ابن عطية:" ويؤيد أن اليدين هنا بمعنى الإنعام قرينة الإنفاق "٧١.يقول الماوردي في تفسيره

٦٧ – ظ: المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته :٥٠٦/٥.

٦٨ – نهج البلاغة: رقم الكتاب(٥٣)

٦٩ –ديوان ذي الاصبع العدواني:٧٥، و ورد في الصحاح: ٥٧/١.

٧٠ – ظ:تفسير البحر المحيط ٥٣٤/٣–٥٣٥.

٧١ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥٦٠.

لقوله تعالى: (بل يداه مبسوطتان)فيه أربعة تأويلات:" أحدهما :أن اليدين هاهنا النعمة من قولهم لفلان عندي يد أي نعمة، ومعناه بل نعمتان مبسوطتان ، نعمة الدين ، ونعمة الدنيا، والثاني : اليد ها هنا القوة كقوله تعالى (أولي الأيدي والابصار)، ومعناه بل قوتان بالثواب والعقاب.والثالث:أن اليد ها هنا الملك من قولهم في مملوك الرجل هو: ملك يمينه، ومعناه ملك الدنيا والآخرة"٧٢.

والتثنية في الآية جاءتمن تثنية الجنس لا من تثنية الواحد المفرد ، لأن العرب تستعمل التثنية للمبالغة كما تقول:لبيك وسعديك ولا تريد الاقتصار على مرتين٧٣ كقول الأعشى:

يداك يدا مجد فكف مفيد وكف إذا ما ضنَّ بالزاد تنفق٧٤

فالآيةإذاً جاءت " استعارة عن جوده، وانعامه السابغ....ويؤيد أن اليدين هنا بمعنى الإنعام ،قرينة الانفاق ، ومن نظر في كلام العرب عرف يقيناً أنّ بسط اليد وقبضها استعارة للجود والبخل...فإن قلت: لِمَ ثنيت اليد في (بل يداه مبسوطتان) وهي مفردة في (يد الله مغلولة) قلت: ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له، ونفي البخل عنه"٧٥، والى هذا التفسير مال الثعابي٧٦.

وقد فُسّرتبمعنى القدرة يقول الرازي:" إن اخترنا تفسير اليد بالقدرة كان الجواب عن الاشكال المذكور أن القوم جعلوا قولهم (يد الله مغلولة) كناية عن البخل ، فأجيبوا على وفق كلامهم فقيل (بل يداه مبسوطتان) أي ليس الأمر على ما وصفتموه به من البخل ، بل هو جواد على سبيل الكمال،..."٧٧.

وبناءً على ما تقدم يمكن القول إنّ الاستعارة واقعة بقوله تعالى ومعنى هذه الاستعارة إن اليهودأخرجوا هذا القول مخرج الاستبخال لله سبحانه فكذبهم بقوله(بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وليس المراد بذكر اليدين هاهنا الاثنين اللتين هما أكثر من الواحد وإنما المراد المبالغة في وصف النعمة فتكون الاستعارة على هذا المعنى استعارة تخييلية ويقصد بها استعارة لفظ دال على حقيقة خيالية تقدر في الوهم ثم تردف بذكر المستعار له ايضاحاً لها أو تعريفا لحالها . وتصدق هذه الاستعارة على كل الآيات التي يتوهم منها التشبيه أو يتخيل فيها التجسيم كقوله تعالى(بل يداه مبسوطتان) إذ إن اليد بالنسبة إليه تعالى إنما تصح من جهة الإستعارة لا الإستعمال الحقيقي٧٨.

---

٧٢ – النكت والعيون (تفسير الماوردي) :٥١/٢.

٧٣ – ظ: الجامع لاحكام القرآن المبين لما تضمنه منه السنة وآي الفرقان: ٨٤/٨.

٧٤ – ديوانه: ١٥٠.

٧٥ – البحر المحيط :٥٣٤/٣-٥٣٥.

٧٦ – ظ: تفسير الثعالبي :٣٩٩/٢.

٧٧ – مفاتيح الغيب :٤٥/١٢.

٧٨ – ظ: ألفاظ المد والامداد في القرآن الكريم دراسة نحوية:١٣٧.

ودلالة (البسط) بمعنى (الإعطاء) جاءت في سياقات أخر منها ما جاء في نهج البلاغة في قول مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام):"الحمد لله الناشر في الخلق فضله والباسط فيهم بالجود يده"٧٩

ومثل هذه الدلالة وردت في أشعار العرب فقد استعملها الشعراء بكثرة عن طريق الاستعارة أوالكناية ، كما في قول تأبط شرافي رثائه للشنفري خاله:

وحتى رماك الشيبُ في الرأس عانِساً وخيرُك مبسوطٌ وزادك حاضرُ٨٠

وقول أبي العتاهية :

لقد كان ميمون الولايــةِ قابضاً يد الجورِ مبسوطاً به الحقّ والعدلُ٨١

الدلالة الرابعة: بمعنى المهد والفراش : وهذه الدلالة جاءت في القرآن وفي الشعر والنثر عن طريق انتقال معناها بالكناية إلى هذا المعنى ،لأن الإنسان يعيش على الأرض ويستقر عليها ، ففي القرآن قوله تعالى: ﴿واللهُ جعلَ لكمُ الأرضَ بِساطاً﴾نوح/١٩ ، ذهب أكثر المفسرين إلى أنّ دلالة لفظة (بسط)في هذه الآية تدل على الفراش والبساط والمهاد إذ يقول الماوردي " والله جعل لكم الأرض بساطاً اي مبسوطة، وفيه دليل على أنها مبسوطة(لتسلكوا منها سُبُلا فجاجاً)" ، ومثله ابن الجزي(ت٧٤١هـ)شبه الأرض بالبساط في امتدادها واستقرار الناس عليها وأخذ بعضهم لفظ البساط أن الأرضبسيطة غير كروية خلافاً لما ذهب إليه أهلالتعديل وفي ذلك نظر"٨٢.

ويرد الالوسي على مَن ذهب بالقول إلى أن الأرض ليست كروية بقوله:" والله جعل لكم الأرض بساطاً ، تتقلبون عليها كالبساط وليس فيه دلالة على أن الأرض مبسوطة غير كروية كما في البحر وغيره، لأنّ الكرة العظيمة يرى كل من عليها ما يليه مسطحاً، ثم أن اعتقاد الكرية أو عدمها ليس بأمر لازم في الشريعة لكن كريتها كالأمر اليقيني وإن لم تكن حقيقة ، ووجه توسيط لكم بين الجعل ومفعوله الصريح يعلم مما مرّ غير مرة"٨٣.

نجد أن كتب التفاسير تشير إلى أن المراد من لفظة(بسط)في هذه الآية هي الفراش والبساط ،فهذا البغوي يقول:"والله جعل لكم الأرض بساطاً، أي فرشها وبسطها"٨٤، ومثله الزمخشري٨٥والبقاعي٨٦،ويؤيد

٧٩ – نهج البلاغة:رقم الخطبة(١٠٠)

٨٠– لم أجده في الديوان

٨١–ديوان أبي المعاني:١/٢٤٨.

٨٢ – التسهيل لعلوم التنزيل :٢/٤٩١–٤٩٢.

٨٣ – روح المعاني:٢٩/٧٦.

٨٤ – تفسير البغوي:٨/٢٣١.

الثعالبي بأن الأرض منبسطة وليست كروية قائلا:"وظاهر الآية أن الأرض بسيطة غير كروية، واعتقاد أحد الامرأن غير قادحٍ في الشرع بنفسه ، اللهم إلاّ أن يترتب على القول بالكروية نظرٌ فاسد، وأما اعتقاد كونها بسيطة فهو ظاهرُ كتاب الله تعالى ، وهو الذي لا يلحق عنه فسادٌ ألبتة ، واستدلَّ ابن مجاهد على صحة ذلك بماء البحر المحيط بالمعمور فقال: لو كانت الأرض كريةً لما استقرَّ الماء عليها"٨٧. وإلى ذلك الرأي ذهب ابن عطية٨٨، وصاحب تفسير الخازن٨٩،وصاحب تفسير السعدي٩٠، و الطبرسي٩١، و الطوسي٩٢، والقرطبي٩٣ في تفاسيرهم.

ويمكن أن نقول ما قاله الشريف الرضي بأنّ في الآية استعارة في قوله:"وهذه استعارة والمراد بالبساط ههنا المكان الواسع المستوي شبّه بالبساط وهو النمط الذي يمد على الاستواء فيجلس عليه ...وتصير الأرض بساطا كتصّرها فراشاً ومهاداً وهذه الألفاظ الثلاثة ترجع إلى معنى واحد"٩٤، ومثله قال به جعفر شرف الدين في موسوعته٩٥.

على حين نجد أن ابن عاشور خرّج الآية من التشبيه البليغ ووجه الشبه تناسب سطح الأرض في تعادل أجزائه فقال:"والبساط ما يفرش للنوم عليه والجلوس ...فالإخبار عن الأرض ببساط تشبيه بليغ، أي كالبساط ووجه الشبه تناسب سطح الأرض في تعادل أجزائه بحيث لا يوجع أرجل الماشين ولا يُقِضُّ جنوب المضطجعين ، وليس المراد أن الله جعل حجم الأرض كالبساط لأن حجم الأرض كُروي، وقد نبّه على ذلك بالعلة الباعثة في قوله(لكم) والعلة الغائبة في قوله (لتسلكوا منها سُبلا) وحصل من مجموع العلتين الإشارة إلى جميع النعم التي تحصل الناس من تسوية سطح الأرض مثل الحرث والزرع وإلى نعمة خاصة وهي السير في الأرض وخصت بالذكر لأنها أهم لاشتراك كل الناس في الاستفادة منها"٩٦.

---

٨٥ – ظ: الكشاف /١١٤٣.

٨٦ – ظ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٤٥/٢٩.

٨٧ – تفسير الثعالبي: ٤٩٠/٥.

٨٨ – ظ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:١٩٠٣.

٨٩ – ظ:تفسير الخازن :٣٤٦/٤.

٩٠ – ظ: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن: ١٨٨٩.

٩١ – ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن:١٠٥/١٠.

٩٢ – ظ: التبيان في تفسير القرآن: ١٣٨/١٠.

٩٣ – ظ: تفسيرالقرطبي :٢٥٩/٢١.

٩٤ – تلخيص البيان في مجازات القرآن:٣٣٥.

٩٥ – ظ:الموسوعة القرآنية خصائص السور:١٨١/١٠.

٩٦ – التحرير والتنوير:٢٠٥/٢٩.

فالذي سوّغ مجيء معنى (بسط) بمعنى(الفراش والمهد) هو تناسب اللفظة مع سياق الآية الكريمة وهذا ما ذهب إليه معظم المفسرين ، وبعضهم فسرها بالاستعارة وآخرون فسروها من التشبيه.والحقيقة أنها كناية ،لأن الإنسان يعيش على الأرض ويستقر عليها .

ومثل هذه الدلالة نجدها مستعملة في النثر والشعر فنجد الإمام علي(عليه السلام)استعمل هذا المعنى في نهج البلاغة إذ يقول :"يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً"٩٧ ، من يتأمل قول الامام علي(عليه السلام)يجد أن لفظة(البساط) لم تأت بمعنى الفرش ويمكن أن تدل على معنى محطة أو معبر لوجود القرينة اللفظية (الزاهدين).

ومثل هذه الدلالة في قوله(عليه السلام):"إنّ الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له"٩٨

وجاء مثل هذا المعنى في قول ابن المعتز وصف السيف :

بسط الخميس بكفِّه ذكرٌ عضبٌ كأنَّ يمينهُ نَمَشا

صافي الحديد كأنّ صيقله كتب الفرند عليه أو نقشا٩٩

فبسط الجيش جاءت كناية عن فرشه وانتشاره وقوته.

الدلالة الخامسة: دلالة الفضل والقوة:وهذه الدلالة جاءت في القرآن والشعر والنثر، فمن ورودها في القرآن قوله تعالى: ﴿وزاده بسطةً في العلم والجسم﴾سورة البقرة/٢٤٧ ، وقال تعالى: ﴿إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطةً فاذكروا الآء الله لعلكم تفلحون﴾ الاعراف/٦٩.

وردت لفظة بسط في آيتين مختلفتين وتحمل معنى الفضل والقوة إذ في سورة البقرة قال تعالى: ﴿ وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ جاءت هنا بمعنى القوة ، لأن سياق الآيات كلها في التمهيد للأمر بالقتال واقامة دولة الإسلام تحتاج إلى ؛ قوة لأن الخطاب موجّه إلى من انكروا الملك لطالوت يقول ابن عاشور:"وبقوله وزاده بسطة في العلم والجسم راداً عليهم قولهم: ولم يؤت سعة من المال أي زاده عليكم بسطة في العلم والجسم ، فاعلمهم نبيهم أن الصفات المحتاج إليها في سياسة أمر الامة ترجع إلى أصالة الرأي وقوة البدن ، لأنه بالرأي يهتدي لمصالح الأمة ،لا سيما في وقت المضائق ، وعند تعذر الاستشارة...."١٠٠

والبسطة اسم من البسط وهو السعة والانتشار، والبسطة الوفرة والقوة من الشيء١٠١.

---

٩٧ – نهج البلاغة:قصار الحكم:١٠٤.

٩٨ – م.ن :الخطبة ١٦٠

٩٩ –ديوان ابن المعتز:٢٨٠.

١٠٠ –التحرير والتنوير:٢/٤٩١.

١٠١ – ظ: م.ن:٢/٤٩٢.

أما قوله تعالى في سورة الأعراف /٦٩: ﴿وزادكم في الخلق بصّطة﴾ قال ابن عاشور :" وقوله(بصطة ثبت في المصاحف بصاد قبل الطاء وهو مرادف بسطة الذي هو-بسين-قبل الصاد والبصطة :الوفرة والسعة في أمرٍ من الأمور ، فإن كان الخلق بمعنى المصدر فالبصطة الزيادة في القوى الجبلية أي زادهم قوة في عقولهم واجسامهم فخلقهم عقلاء أصحاء، وقد اشتهر عند العرب نسبة العقول الراجحة إلى عادٍ ، ونسبة كمال قوى الاجسام إليهم ....وعلى هذا يكون قوله (في الخلق) متعلقاً بـ(بصطة)وإن كان الخلق بمعنى الناس ، فالمعنى:"وزادكم بصطة في الناس بأن جعلكم أفضل منهم فيما تتفاضل به الأمم من الأمور كلها،فيشمل رجحان العقول وقوة الأجسام وسلامتها من العاهات والآفات وقوة البأس".١٠٢

على حين نجد أنّ السمين الحلبي فسّر قوله تعالى في سورة الأعراف بقوله تعالى:﴿في الخلق﴾ "يُحتمل أن يراد به المصدر بمعنى امتداد قاماتكم ، في حسن قاماتكم ، في حسن صوركم وعظم أجسامكم ، ويحتمل أن يُراد به معنى المفعول به أي: في المخلوقين بمعنى زادكم في الناس مثلكم بسطة عليهم ،فإنه لم يكن في زمانهم مثلهم في عِظم الأجرام"١٠٣، وفسّر أبو السعود معنى بسطة بالقوة .١٠٤

ولقائل يقول:لماذا قدّم البسطة في العلم على البسطة في الجسم في سورة البقرة؟

يُجيب الآلوسي عن هذا التساؤل قائلاً :" وفي تقديم البسطة في العلم على البسطة في الجسم إيماءٌ إلى أنّ الفضائل النفسائية أعلى وأشرف من الفضائل الجسمانية بل يكاد لا يكون بينهما نسبة ، لا سيما ضخامة الجسم ،ولهذا حمل بعضهم البسطة فيه هنا على الجمال أو القوة لا على المقدار كطول القامة" ١٠٥.والرأي نفسه في سورة الأعراف.١٠٦

وقُرئت بالسين والصاد، فقرئت بالسين عندأبي عمرو وابن كثير، وبالصاد عند نافع وابن كثير رواية النقاش.١٠٧

وجدنا في بعض الاستعمالات اللغوية خروج معنى (بسط) في غير القرآن إلى معانٍمنها(السماحة، والبشاشة، وقبول العذر، والبخل، والتنزه...وغيرها)

١٠٢- م.ن : ٨/٢٠٥-٢٠٦،و ظ:التسهيل لعلوم التنزيل :١١٩/١.

١٠٣- الدر المصون:٥/٣٦٠.

١٠٤ -.ظ:تفسير ابي السعود:١/٢٤٠.

١٠٥روح المعاني:٢/١٦٧

١٠٦- ظ:م.ن:٨/١٥٦

١٠٧- ظ:البحر المحيط:٢/٢٦٧.

كما في قول الإمام علي (عليه السلام)في كتابه إلى محمد بي أبي بكر حين قلده مصر :"فاخفض لهم جناحك وألن لهم جانبك وابسط لهم وجهك" ١٠٨.وقوله (عليه السلام)في موضع آخر في كتابه الى بعض عماله:"واخفض للرعية جناحك وابسط لهم وجهك وألن لهم جانبك..."١٠٩

ومن هذا المعنى قال ابن الرومي:

ومن شيمة الأجود بسط وجوههم إذا سُئلوا لا ينفسون النفائسا١١٠

وجاءت مضافة إلى (العذر)وهي استعارة لقبول العذر كما في قول ابن الرومي أيضاً:

بســط العذرُ أنّ ذاك مــقــامشله استوهل الجريء الجنانِ١١١

وجاءت كناية عن البخل في قول المعري:

وكم بُسِطَ البَنانُ فعاد صِفراً وزارَ الجـودُ كَـفّاً ذات كَـفِّ١١٢

من هذا العرض نجد أن دلالة لفظة(بسط) تطورت فبعد أن كانت دلالتها حسية للمد الحقيقي لليد اصبحت دلالة عقلية تعرف عن طريق وجود علاقات مجازية كالاستعارة والكناية والمجاز ، وهذا التوسع كان العامل الأول المؤثر فيه القرآن الكريم بما حمله من دلالات فرضت على المفردت داخل السياق ،فضلا عن التطور الحاصل في المفردات عبر عصورها الأدبية ، فكان للاستعمال اللغوي نثرا وشعرا الأثر في هذا التطور .

الخاتمة

الحمد لله الذي مكننا من الغوص في أعماق بحار التفسير لاستخراج جواهر المعاني من صدف المباني التي أودعها اللهُ تعالى في كتابه العزيز الذي هو منتهى الحكمة البالغة ولا يفنى ولا ينفذ ولا تنقضي عجائبهُ، فقد حوى من المعاني الانيقة والحكم الرشيقة ما بهر القلوب عجباً، وتأمل في قوله تعالى: ﴿ ولو أنما في الأرض مِنْ شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يَمُدّهُ مِنّ بَعْدِهِ سَبْعَة أَبحرٍ ما نفذتْ كلماتُ اللهِ﴾ لقمان:٢٧،ومن هنا خرج البحث بجملة من النتائج هي:

١٠٨- نهج البلاغة :رقم الكتاب(٢٧)

١٠٩- م.ن:رقم الكتاب(٤٦).

١١٠ -ديوان ابن الرومي:١٨٦/٢.

١١١ -م.ن: ٤٢٠/٣.

١١٢-ديوان ابي العلاء المعري:٧٥.

-تبين من تتبعنا الجذر (ب،س،ط)في المعجم والقرآن الكريم ونهج البلاغة والشعر العربي ،أنه يحمل معاني متنوعة ، انفرد القرآن الكريم بذكر قسم منها، وكان لنهج البلاغة القسم الآخر فضلا عن الاستعمالات اللغوية الأخرى كالشعر وقد أشرنا إلى ذلك كله في البحث.

-تطورت دلالة لفظة (بسط) من معناها الحقيقي والمعجمي والتي تعني المدّ إلى دلالاتٍ ومعانٍ جديدة تعني الضرب، والسعة،والمهد وغير ذلك.

- وصل البحث إلى قناعة تامة مفادها أن السياق اللغوي بتنوع قرائنه اللفظية وغير اللفظية يعد معياراً مهماً ومحوراً أساسياً في تحديد الدلالة المرادة من لفظة(بسط)،إذ غالباً ما ترد هذه اللفظة في السياقات القرآنية واللغوية وهي تحمل دلالة متوسعة عن دلالتها المعجمية وفي بعضها الآخر تحمل دلالة مغايرة لأصلها .وليس لتحديد هذه الدلالة المغايرة من سبيل إلاّ بمعرفة السياق الواردة فيه.

-إن توظيف براعة النص القرآني كأداة لكشف دلالة المفردة وايضاحها يعدّ وجهاً من وجوه الأعجاز الدلالي في النص القرآني ، ثم أن استعمال المفردة الواحدة كلفظة(بسط)مثلاً في سياقات مختلفة لإعطاء جملة من الدلالات المضمونة تمثل وسيلة من وسائل الاختزال اللغوي إذ تغني عن الإطالة والتكثير في الكلام ًلاداء المعنى من جهة ، ومن جهة تعدّ ابداعاً لغوياً من خلال بيان القدرة والمهارة في انشطار المفردة دلاليا على وفق مبدأ السياق اللغوي.

-وجد البحث تطوراً دلالياً قد أصاب المفردة في نهج البلاغة إذ توسعت الدلالة لمعانٍ لم ترد في القرآن الكريم ومنها معنى الانبساط والسرور.

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

-الإتقان في علوم القرآن،أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي،تح:محمد أبو الفضل ابراهيم،منشورات الشريف الرضي ،دار عزيزي،د.ت.

-أساس البلاغة ،أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري،تح:محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلمية،بيروت،١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

-الأصوات اللغوية:د.إبراهيم أنيس،ط٤،مكتبة الانجلو المصرية،١٩٧١م.

-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي،إشراف:بكر بن عبد الله بو زيد،دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع،د.ت.

-ألفاظ المد والإمداد في القرآن الكريم دراسة لغوية،رسالة ماجستير،للطالبة:هدى محمد صالح،بإشراف:د.علي ناصر غالب، جامعة الكوفة ،كلية التربية للبنات.

-أوزان الفعل ومعانيها ،د.هاشم طه شلاش ، مطبعة الآداب ،النجف الأشرف،١٩٧١م.

-البرهان في علوم القرآن ،بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي،تح:أبو الفضل إبراهيم،القاهرة-مصر،د.ت.

-بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز (إعراباً وتفسيراً بايجاز)،بهجت عبد الواحد الشيخلي،ط ١، عمان-الاردن،٢٠٠١م.

-تاج العروس من جواهر القاموس،الزبيدي أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني،تح:عبد الستار أحمد فراج،مطبعة حكومة الكويت،الكويت،١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

-التبيان في تفسير القرآن ،أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي،قدّم له :الشيخ آغابزرك الطهراني(رحمه الله)،دار إحياء التراث العربي، بيروت —لبنان، د.ت.

-التحرير والتنوير ،للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر،تونس،١٩٨٤م.

-التعريفات، علي بن محمد الجرجاني،ط١ ،١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

- تفسير ابن عطيه المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي،دار ابن حزم ،د.ت.

-تفسير أبي السعود المسمى ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ،\١أبو السعود محمد بن محمد العمادي،دار إحياء التراث،بيروت-لبنان،د.ت.

-تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي،دراسة وتح:عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض ،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان، د.ت.

-تفسير البغوي(معالم التنزيل)،أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي،تح:محمد عبد الله النمر،وآخرون،دار طيبة،الرياض-السعودية،١٤٠٩هـ.

-تفسير الخازن المسميات التأويل في معاني التنزيل،علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن،ضبطه وصححه:عبد السلام محمد علي شاهين ، ط١،دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان،٢٠٠٤هـ.

-تفسير القاسمي المسمى(محاسن التأويل)،محمد جمال الدين القاسمي،ضبطه وصححه وخرّج آياته واحاديثه:محمد باسل عيون السود،ط٢،منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،٢٠٠٣م.

-تفسير القرآن ،للسمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي الشافعي،تح:أبو تميم ياسر ابن ابراهيم، وابو بلال غنيم بن عباس بن غنيم،ط ١، دار الوطن الرياض-السعودية، ١٩٩٧م.

-تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،تأ:ابو القاسم جار الله محمود، الزمخشري، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلق عليه :خليل مأمون شليحا ،ط٣،دار المعرفة ،بيروت ،٢٠٠٩م.

-تلخيص البيان في مجازات القرآن ،الشريف الرضي،تح:د.علي محمود مقلد، منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت –لبنان،د.ت.

-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان ،اعتنى به سعد فوّاز الصميل،ط١،دار ابن الجوزي،جدة-السعودية،١٤٢٢هـ.

-الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ،تأ: ابو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القُرطبي،تح:د.عبد الله بن عبد الحسن التركي ،ط ١، مؤسسة الرسالة ،٢٠٠٦م.

-جمهرة اللغة،أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد،تح:د.رمزي منير بعلبكي،دار العلم للملايين،بيروت،١٩٨٧م.

-الحاوي في تفسير القرآن الكريم ويسمى(جنَّة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلاّق)،عبد الرحمن بن محمد القماش ،الاصدار الأول،رأس الخيمة ،دولة الإمارات العربية المتحدة،٢٠٠٩م.

-الدّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون،أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ،تح:د.أحمد محمد الخراط،دار القلم ،دمشق،د.ت.

-دروس في علم أصوات العربية،جان كانتينينو، نقله إلى العربية صالح القرمادي،نشر مركز البحوث والدراسات الاقتصادية والاجتماعية،تونس،١٩٦٦م.

١٩٩٩م.

-دليل البلاغة القرآنية،د.محمد بن سعد الدبل،ط١،مكتبة الملك فهد الوطنية،٢٠١٠م.

-ديوان ابن الرومي،شرح:احمد حسن ،ط٣، دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،٢٠٠٢م.

-ديوان ابن المعتز،دار صادر،بيروت –لبنان.

-ديوان بديع الزمان الهمذاني،دراسة وتحقيق :يسرى عبد الغني عبد الله،ط٣،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،٢٠٠٣م.

- ديوان تأبط شراً واخباره، جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقا شاكر، ط١، دار الغرب الاسلامي، ١٤١٩هـ.

-ديوان ذي الاصبع العدواني،جمعه وحققه:عبد الوهاب محمد علي العدواني،ومحمد نايف الدليمي،الموصل،العراق،١٩٧٣م.

- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، لَبِيد بن ربيعة العامري،دار صادر،بيروت-لبنان،د.ت.

-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي،عني بنشره وتصحيحه:السيد محمود شكري الآلوسي ،دار احياء التراث العربي،بيروت-لبنان، د.ت.

-زاد المسير في علم التفسير،أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي،ط١،دار ابن حزم،بيروت –لبنان،٢٠٠٢م.

-سر صناعة الإعراب ،ابن جني،تح:د.حسن هنداوي،دمشق،١٩٨٥م.

-علم الأصوات العربية ،د.محمد جواد النوري ،جامعة القدس المفتوحة، ٢٠٠٧م.

- علم الأصوات اللغوية،د.مناف مهدي الموسوي،ط٣،دار الكتب العلمية،شارع المتنبي بغداد،١٤١٩هـ-٢٠٠٧م.

-علم الدلالة ،أحمد مختار عمر،ط١، الكويت،١٩٨٢م.

-فتح القديرالجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،تأ:محمد بن علي بن محمد الشوكاني،اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش،ط٤، دار المعرفة بيروت-لبنان،٢٠٠٧.

-الكتاب ،سيبويه أبو بشر عثمان بن قنبر ،تح:عبد السلام هارون،ط٢،د.ت.

-كتاب العين ،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي،تح:مهدي المخزومي،ود.إبراهيم السامرائي،دار الهلال.د.ت.

-لسان العرب ،ابن منظور،اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي،ط ٣، دار إحياء التراث العربي،بيروت،١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

-مجمع البيان في تفسير القرآن،تأ:ابومحمد علي الفضل بن الحسن الطبرسي،ط١(طبعة جديدة منتقح)،دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع،٢٠٠٥م.

-معاني القرآن، ابو زكريا يحي بن زياد الفراء، ط٣،عالم الكتب،بيروت- لبنان،١٩٨٣م.

-المعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته،تأليف وتحقيق :قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلامية، بإشراف:الأستاذ محمد واعظ زادة الخراساني.

-المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، وضعه محمود فؤاد عبد الباقي، رتبه: محسن بيدارفر، انتشارات بيدار.

-المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة، ط١،ودار التعارف للمطبوعات،بيروت،لبنان، ١٤١٠-١٩٩٠م.

--مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير،فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر ،ط١،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت-لبنان،١٩٨١م.

- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، أبو القاسم الحسن بن محمد المفضل الأصَفهاني،تح:إبراهيم شمس الدين،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

-مقاييس اللغة،أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ،تح:محمد عوض مرعب،والآنسةفاطمة محمد أصلان،ط١،دار إحياء التراث العربي،١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

-المقتضب ،أبو العباس المبرد،تح:محمد عبد الخالق عضيمة،عالم الكتب،بيروت، د.ت.

-النُكت والعيون تفسير الماوردي ، تصنيف ابي الحسن علي بن محمدابن حبيب الماوردي البصري، راجعه وعلق عليه:السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان، ،د.ت.

-نظم الدرر في تناسب الآيات والسّور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ،دار الكتاب الاسلامي،القاهرة،مصر،د.ت.

-النكت والعيون تفسير الماوردي ،تصنيف:أبو الحسن علي بن محمد بن حبيبب الماوردي البصري،راجعه وعلق عليه:السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،د.ت.

-نهج البلاغة،جمعه:الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى،تح:السيد هاشم الميلاني، العتبة العلوية،النجف الاشرف،٢٠١٠م.

-الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز،أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني ، تقديم وتح:عربي عبد الحميد علي، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،د.ت .